

الشيخ علي حسن غلوم

من هدي أمير المؤمنين

الشيخ
علي حسن غلوم

من هدي
عليه السلام
أمير المؤمنين



المركز الإسلامي الثقافي

النجف الأشرف

الطبعة الأولى

١٤٤٠ هـ - ٢٠١٨ م



المركز الإسلامي الثقافي

النجف الأشرف

خليوي: ٩٦٤٧٨٠١٥٠٠٤٨٢+

ديباجة

دعماً للجهود المباركة التي بدأها السيد الأستاذ شفيق الموسوي - المركز الإسلامي الثقافي / النجف الأشرف - والهادفة لنشر فكر وثقافة أهل البيت «عليهم السلام» أثناء المسيرة المليونية لأربعينية الإمام الحسين «عليه السلام»، وذلك بإقامة معرض كتاب لمدرسة أهل البيت، تم إصدار سلسلة كتيبات لسماحة الشيخ علي حسن غلوم يعرض فيها أقوال ومواقف رسول الله والأئمة الإثني عشر «عليهم أفضل الصلاة والسلام»، وقد أصدر هذا العام خمسة كتيبات، بدأ فيها برسول الله، وانتهى بالإمام الحسين، وضمّنها بعضاً من خطبة ومقالاته، على أن تكتمل السلسلة المباركة في الأعوام اللاحقة.

إننا إذ نقدّم هذا العمل، فإننا نأمل في أن يكون نموذجاً يُحتذى به لخدمة مدرسة أهل البيت «عليهم السلام»، وأن يكون موضع تنافس ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾.

المحتويات

- مقدمة ٥ -
- ١. رجل المهمّات الصعبة ٧ -
- ٢. الإمام علي عليه السلام والمسؤولية ١٤ -
- ٣. الإمام علي عليه السلام وسنن التاريخ ١٩ -
- ٤. منهج الإصلاح عند الإمام علي عليه السلام ٢٩ -
- ٥. توكل وقوّة وعَفْو ٣٦ -
- ٦. منابع الحرية عند علي عليه السلام ٤٢ -
- ٧. شُرطة الخميس ٤٩ -
- ٨. علي عليه السلام والحق ٥٦ -
- ٩. فزت وربّ الكعبة ٦١ -

مقدمة

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين،
والصلاة والسلام على حبيب قلوب العالمين سيدنا ونبينا
محمد وعلى آله الطيبين الميامين.

بين يديك مختارات من خطب ومقالات تم تقديمها من
قبل سماحة الشيخ علي حسن غلوم، إمام مسجد سيد هاشم
بهبهاني في الكويت، وعلى مدى سنوات، ونعيد تقديمها تحت
عنوان: من هدي أمير المؤمنين «عليه السلام»، وتأتي ضمن
سلسلة تصدر حول هدي النبي وآله «عليهم السلام»، ومقسمة
على أجزاء تم إعدادها وإخراجها بصورة تتناسب مع الهدف
منها، وهو تقديمها إلى الجماهير المليونية المشاركة في
مسيرة الأربعين الحسينية، ليتسنى لهم مطالعتها والاستفادة
منها خلال رحلتهم سيراً على الأقدام، أملاً في أن نكون من
المساهمين في تحقيق غاية من غايات النهضة الحسينية على
صاحبها آلاف التحية والسلام، وهي إخراج الناس من ظلمات
الجهل إلى نور المعرفة، اهتداءً بكتاب الله، واقتداءً بسنة
رسول الله، وأتباعاً لهدي العترة المباركة.

اللجنة المشرفة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١)

رجل المهمات الصعبة

كان أمير المؤمنين علي «عليه السلام» بالنسبة إلى النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله» رجلَ المهمات الصعبة.. وهو ما عبّرت عنه السيدة الزهراء «عليها السلام» حيث قالت: (كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ، أَوْ نَجَمَ قَرْنٌ لِلشَّيْطَانِ، وَفَغَرَّتْ فَاغْرَةً مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَذَفَ أَخَاهُ فِي لَهَوَاتِهَا، فَلَا يَنْكَفِيءُ حَتَّى يَطَأَ صِمَاحَهَا بِأَخْمَصِهِ، وَيُخَمِّدَ لَهَبَهَا بِسَيْفِهِ، مَكْدُوداً فِي ذَاتِ اللَّهِ، مُجْتَهِداً فِي أَمْرِ اللَّهِ، قَرِيباً مِنْ رَسُولِ اللَّهِ سَيِّدِ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ، مُشْمِراً نَاصِحاً، مُجِدّاً كَادِحاً).

• المهمة الثلاثية:

وأول مشهد بارز في هذا الإطار تمثل في المهمة الثلاثية التي أوكلت إليه من قبل النبي «صلى الله عليه وآله» عند الهجرة إلى المدينة المنورة.

المهمة الأولى: تمثلت في المبيت في فراش النبي وتلقي هجوم المشركين المباغت بسيوفهم وهو مستلقي، ليفسح المجال أمام النبي للخروج من مكة آمناً.

المهمة الثانية: كانت بالوقوف أمام الناس نهائاً جهاراً . في ذلك الوقت المشحون بالغضب والنقمة من قبل قريش على النبي وعلى علي نفسه . للإعلان عن أنه وكيل النبي في رد الأمانات إلى أهلها .

المهمة الثالثة: هي اصطحاب الفواطم «فاطمة الزهراء . فاطمة بنت أسد . فاطمة بنت الزبير بن عبدالمطلب» من مكة إلى المدينة، وفي ظروف صعبة، ومواجهة المطاردين لهم في الطريق . ولوحده . حتى وصل «قبا» وقد تورمت قدماه وتقطرتا وأدميتا .

• لا فتى إلا علي:

ثم جاء العهد المدني، وبرز دور أمير المؤمنين علي «عليه السلام» في بدر وأحد حتى قيل (لا فتى إلا علي) .. وذاع صيت بطولاته في الآفاق، ثم برز لعمر بن عبد العامري الذي هابه الجميع ونكصوا عن مواجهته .. فقتله، فكانت ضربته تعدل عبادة الثقلين كما روي عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» .

ويتكرر المشهد في خيبر فلا يكون للمهمة الصعبة إلا علي حتى قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: (لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، كراز غير فرار، يفتح الله عليه) .

• حديث المنزلة:

وهكذا يوظف النبي «صلى الله عليه وآله» علياً «عليه السلام» حيث صُعِبَت الأمور.. في السلم والحرب.. لحلَّ عُقْدِهَا، حتى إذا كانت غزوة تبوك صار النبي بين خيارين، الأول: أن يقدم علياً معه للحرب، وفي مواجهة خطيرة، ومهمة بعيدة وشاقة ضد جيش الروم والغساسنة.. والخيار الثاني أن يبقيه في المدينة لمواجهة خطر المنافقين.

فاستقر النبي على الخيار الثاني قائلاً: (أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي).

ولفهم مكنون قول النبي هذا لابد من معرفة ملاسبات المهمة الموكلة للإمام علي.. ففي السنة التاسعة للهجرة عَظُم نشاط المنافقين في المدينة وتوَعَّت أساليبه.. ودخلوا في تحالفات مع الروم ومنافقي مكة ومنافقي الأعراب واليهود المتورين وبقايا المشركين في جزيرة العرب، وصنعوا لأنفسهم واجهةً دينيةً تمثلت في مسجد بني غنم بن عوف، الذي عُرِف لاحقاً باسم مسجد ضرار: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضَرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفْنَ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ «التوبة: ١٠٧».

• سورة التوبة:

ومن يُرد أن يعرف حجم الخطر الذي مثّله حينذاك فليتمعن في سورة التوبة والتي نزلت في تلك السنة وتناولت أمرهم في أكثر من ٥٠ آية من أصل ١٢٩ آية، حتى سُميت بأسماء، منها اثنا عشر إسمًا خاصاً بالمنافقين، وهي: «الفاضحة» لأنها فضحتهم، و«المخزية» لأنها أذلتهم، و«المقشّشة» وكأنها قشرت الظاهر وكشفت حقيقة المنافقين، و«المبعثرة» لأنها كشفت حقيقتهم فبعثرت أمورهم، و«المنقرة» لأنها جاءت كصوت الصور الذي أدخل الرعب في قلوبهم، و«المنكّلة» لأنها نكّلت بهم وعذبتهُم، و«المثيرة» لأنها أثارت دفين نفوسهم، و«المشرّدة» لتهديدهم بالتشريد، و«المشدّدة» لأنها شددت الأمر عليهم، و«المددمة» أي المدمرة لهم، و«البحوث» التي تبين أخبارهم، و«الحافرة» التي حفرت فأظهرت ما في قلوبهم.

• محاولة انقلابية:

وكان من أهم مشاريع منافقي المدينة حين خروج النبي للغزوة، وتخلفهم عن الخروج معه، هو الانقلاب وبسط السيطرة على المدينة والقضاء على دولة الإسلام والعودة إلى الجاهلية، كما سعى إلى ذلك السامري على عهد النبي موسى «عليه السلام» حيث أرجعهم مشركين يعبدون الصنم.. ولم

يكن لمواجهة هذه المهمة الصعبة سوى علي «عليه السلام»، فوجوده حفظ الإسلام في المدينة، وأجهض مشروع المنافقين وبدد آمالهم. ولعل إلى هذا أيضاً أشار النبي بقوله كما في المستدرك على الصحيحين للنيسابوري تنمة لحديث المنزلة: (إن المدينة لا تصلح إلا بي أو بك).

ويبدو أن المنافقين أدركوا هدف استخلاف النبي لعلي، ولذا حاولوا أن يثيروا الأجواء ضد الإمام بالسخرية والهمز واللمز كي تُثار حميته فيترك المدينة إصراراً على المشاركة في الغزوة، ففي السيرة النبوية لابن هشام: (فأرجف به المنافقون وقالوا: ما خلفه إلا استثقلاً له، وتخففاً منه).

• إجراءات حازمة:

استغرقت الغزوة شهرين تقريباً من رجب إلى شهر رمضان، وكان لابد من اتخاذ إجراءات حازمة بحق المتأمرين، بعد أن أرسل النبي رسالة قوية للروم والغساسنة واليهود من خلال الغزوة، فهدم مسجد ضرار، وحوصر المنافقون بفضحهم فانكفأوا، وقبيل الحج نزل الأمر الإلهي بإلغاء المعاهدات الثنائية مع المشركين من الأعراب وسواهم ممن وصفتهم سورة براءة بأنهم متآمرون ويتحينون الفرصة للانقضاض على المسلمين. فبعث النبي «صلى الله عليه وآله» علياً رجلَ المهمات

الصعبة لأداء هذه المسؤولية لخطر مضمونها، قائلاً: (جبريل جاءني فقال: لا يؤدي عنك، إلا أنت أو رجل منك).

• يوم الغدير:

وهكذا تمرّ السنة، ويقف النبي «صلى الله عليه وآله» في يوم الغدير ليعلن:

أولاً: من خلال حديث الثقلين - مرجعية القرآن وأهل البيت «عليهم السلام» في أمور الدين، وعلى رأس أهل البيت عليّ.

ثانياً: ولاية الإمام علي «عليه السلام» على المسلمين كقيادة حكيمة قادرة على حمل الأمانة من بعده، وليكون رجل المهمة الصعبة عند غيابه «صلى الله عليه وآله» عن هذه الدنيا، سواء، انسأقت له الأمور ليحكم ويقود الأمة إلى بر الأمان في مواجهة كل التحديات الخطيرة التي ستواجهها على يد منافقي المدينة الذين سيتحينون الفرصة من جديد للقضاء على دولة الإسلام، أو على يد بقايا المشركين في جزيرة العرب مع منافقي الأعراب الذين سيعلمون الردة عن الإسلام، أو على يد الروم والغساسنة واليهود والفرس الذين راعتهم هذه القوة المتنامية في المنطقة.

سواء أكان هذا، أم أن الأمور ستأخذ مجرى آخر، ولا يتمكن الإمام من أداء المهمة القيادية، ليكون من جديد رجل المهمة

الصعبة في أن يسلم ما سلمت أمور المسلمين ولم يكن فيها جور إلا عليه خاصة، حفاظاً على الإسلام، الأمانة المودعة عنده.

• موقفنا:

وهذا ما يجعلنا . اليوم . مصرّين على موقفنا المتناغم مع موقفه «عليه السلام» في رفض الانخراط في الفتن والإثارات الطائفية التي تقف وراءها قوى التطرّف والمخابرات، وينساق وراءها الغافلون، ولنوكد أننا سنبقى في مسارات السعي لتقريب وجهات النظر ما أمكن في ظل كل الأجواء الملهبة التي تعيشها المنطقة.. وما ذاك إلا حفاظاً على الإسلام، واستكمالاً لحمل الأمانة التي أوكلت لعلّي «عليه السلام»، ونحن ندعي أننا من شيعته والسائرين على منهجه، لاسيما ونحن نعيش مشهداً تزحف إليه الفتن كقطع الليل المظلم، ولا ندري إلى أين ستسير الأمور ضمن الخطة المرسومة عالمياً لإعادة تشكيل المنطقة بما يحقق للمستكبرين مصالحهم، وللكيان الصهيوني أحلامه، وللاستمرار في استخدام التكفيريين كأداة تطويع وترهيب وإضعاف لمواطن القوة عندنا.

وما أشد افتقادنا لرجل المهمات الصعبة الذي يقذف بنفسه في لهواتها ونيرانها ليُشعل لنا شموع الأمل في هذه الطريق المظلمة.. وما أمرُ الله إلا كلمح البصر أو هو أقرب.

(٢)

الإمام علي عليه السلام والمسؤولية

ما صدر عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» في يوم الغدير لم يكن أمراً استثنائياً بالنسبة لأمر المؤمنين علي «عليه السلام»، بل جاء في السياق الطبيعي لتاريخ الإمام، وجاء كتتويج لكل تلك النصوص والمواقف النبوية التي بينت للمسلمين مَنْ هو علي، وما هي المسؤولية الملقاة على عاتقه بعد النبي، وما هي مسؤولية المسلمين تجاهه.

شخصية عاشت نبوة النبي وحقيقتها في العمق، إذ تحركت معه في كل المواقع حركة واعية متبصرة منذ البداية وهو القائل: (ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل أثر أمه، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً ويأمرني بالاعتداء به، ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء، فأراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله وخديجة وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرسالة، وأشم ريح النبوة، ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه، فقلت يا رسول الله ما هذه الرنة؟ فقال هذا الشيطان قد آيس من عبادته،

إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلا أنك لست بنبي، ولكنك وزير وإنك لعلّى خير). ومن ذلك كان حقيقة بعلي «عليه السلام» أن يعتبره النبي «صلى الله عليه وآله» كنفسه، كما جاء في آية المباهلة، وقد قال جابر الأنصاري: (أنفسنا وأنفسكم : رسول الله وعلي).

شخصية كانت حاضرة في أشدّ المواقف بكل قوة إعلاء لدين الله، ونصرة لرسول الله، وبروعة وصف سيدة النساء فاطمة الزهراء «عليها السلام» إذ قالت: (كلّما أوقدوا ناراً للحرب أطفاها الله، أو نجم قرن للشيطان، أو فغرت فاعرة من المشركين، قذف أخاه في لهواتها، فلا ينكض حتى يطا صماخها بأخمصه، ويخمد لهبها بسيفه، مكدوداً في ذات الله، مجتهداً في أمر الله، قريباً من رسول الله، سيداً في أولياء الله، مُشمرّاً ناصحاً، مجداً كادحاً).

شخصية نالت من التعريف والتكريم من قبل رسول الله «صلى الله عليه وآله» ما لم ينله أحد من المسلمين، كما وكيفاً، وهو القائل فيه يوم الخندق: (برز الإيمان كله إلى الكفر كله)، ويوم خيبر: (لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، كرّاراً غير فرار، لا يرجع حتى يفتح الله على يديه)، ويوم تبوك: (أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي؟) ومنزلة

هارون من موسى هي ما عبّر عنه القرآن الكريم: ﴿وَجَعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي، هَارُونَ أَخِي، اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي، وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ «طه: ٢٩-٣٢». والقائل في بيان علمه: (أنا مدينة العلم وعليّ بابها) والقائل في بيان لزوم الاهتداء والاقتداء به: (علي مع الحق والحق مع علي، يدور معه حيثما دار)، والجامع له الصفات العليا بقوله: (من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في عزمه، وإلى إبراهيم في حلمه، وإلى موسى في هيئته، وإلى عيسى في زهده، فليُنظر إلى عليّ بن أبي طالب).

ولهذا ولغيره كثيرٌ كثير، فإن الإنسان المنصف لا يملك إذا تطلّع إلى علي «عليه السلام» في جميع آفاقه الروحية وإخلاصه وجهاده وعلمه إلا أن يخشع أمامه، ولذا قال الشاعر المسيحي «بولس سلامة»:

جلجل الحق في المسيحي حتى عدّ من فرط حبه علويًا
يا سماءً اشهدي ويا أرض قري واخشعي إنني ذكرتُ عليا
وأيضاً لهذا وغيره كثيرٌ كثير نقول أن ما جاء في نص الغدير إنما جاء في السياق الطبيعي لتاريخ علي «عليه السلام»، وأن ما جاءت من شهادات في حق علي تجلّت بصورة صادقة في المقامين، الأول بعد وفاة النبي، والثاني حين أصرّ الناس عليه ليحكم بعد قتل الخليفة عثمان.

• علي بين مسؤوليتين:

ففي المقام الأول قارن الإمام بين أمرين، وقد قال مبيناً ذلك: (وطفقت أرتئي بين أن أصول بيد جداء أو أصبر على طخية عمياء) فماذا اختار؟ (فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى، فصبرت وفي العين قذى، وفي الحلق شجا). واتخذ الإمام قرار المقاطعة احتجاجاً.

واستمر في المعارضة السلبية حتى تبدلت الظروف مع بدء حروب الردة: (فأمسكت يدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام يدعون إلى محق دين محمد صلى الله عليه وآله، فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً تكون المصيبة به علي أعظم من فوت ولايتكم التي إنما هي متاع أيام قلائل).

وفي المقام الثاني تجددت الخيارات أمام علي «عليه السلام»، مع تبدل المعطيات على أرض الواقع إذ أكدت له أن الأمور باتت تحمل معها أوضاعاً متفجرة، وأن خارطة الولاءات قد تبدلت بصورة كبيرة، في الوقت الذي لم تكن لعل رغبة ذاتية في الملك وهو الذي يعتبر نعلته الممزقة أحب إليه من الإمرة.

ومرة أخرى يتحمل الإمام مسؤوليته، ولكن من خلال الحكم، وتحت ضغط جماهيري كبير، وبعد أن وجد أن الحجة

قد لزمته وهو القائل: (أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة
لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر ، وما
أخذ الله على العلماء ألا يقاروا على كظّة ظالم، ولا سَغَبَ
مظلوم، لألقيت حبلاًها على غاربها، ولسقيتُ آخرها بكأس
أولها، ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عطفة عنز).

إن علياً «عليه السلام» يعلمنا أن المبادئ هي التي تحدد
المواقف، لا الانتصار لأننا ولا العداوات الشخصية ولا
العصبيات، وأن تبدّل الظروف يستدعي البحث عن الموقف
المتوافق مع المصلحة العليا، لا بمعنى التخلي عن المبادئ، بل
بمعنى توظيفها في الاتجاه الذي يُرضي الله «عز وجل» ويخدم
المصلحة العامة. إن ما يمرّ به عالمنا الإسلامي اليوم، يستدعي
من جميع الأطراف التي تشكّل فسيفساء الساحة الإسلامية
أن تتخلى عن ذاتياتها، وأن تجعل رضا الله والمصلحة العامة
نصب أعينها، ومن خلال ذلك تحدّد مواقفها، كي لا تتحول
الفتنة التي تثيرها بعض الأطراف ذات المصالح الضيقة أو
التي تعمل لخدمة المصالح الاستكبارية إلى وسيلة لتصفية
الحسابات التاريخية والطائفية والحزبية والشخصية، ونحن
أدواتها.. ولنسترشد بكلمة علي «عليه السلام»: (لا يكن
أفضل ما نلت في نفسك من دنياك بلوغ لذة أو شفاء غيظ،
ولكن إطفاء باطل أو إحياء حق).

(٣)

الإمام علي عليه السلام و سنن التاريخ

من يقرأ خطب أمير المؤمنين علي «عليه السلام» بدقة، يُدرك بوضوح مدى العناية الفائقة التي كان يوليها للتاريخ.. عناية رجل الرسالة والعقيدة، ورجل الدولة والقيادة.. لا عناية الشغوف إلى القصص والأساطير.

فعلي «عليه السلام» كان باحثاً - وهو يتفحص التاريخ - عن جذور المشاكل التي تعاني منها البشرية، والحلول التي توصل إليها من ماضى من الأمم.. فالإنسان هو الإنسان في كل زمان.. خليط من الفطرة والعقل والضمير والغرائز والأهواء، يعيش في محيط بشري متنوع، تتكامل فيه بعض مصالحهم فيتعاونون، وتتقاطع فيه أخرى فيتصادمون ويتصارعون.

• دور الشرائع:

وبالتالي تأتي الشرائع والعقائد والقيم والقوانين لتضبط سلوك الإنسان وتهذبّه وتعتقّله، وتغيّر نظرتّه إلى الكون والحياة وإلى من يشترك معه في عنوان الإنسانية. فإن نجحت في ذلك، فإنها تحقّق لتاريخه نقلة نوعية، وتوجّهه إلى مسار

جديد.. وأمّا إذا فشلت، فإنّ تاريخه في هذه الحالة سيتكرر.
هذا التاريخ المتكرر قد لا يحمل نفس السمات والخصائص
الماضية، ولكنّه يحمل نفس الروح، ويخلف في المجتمع نفس
الآثار التي كانت في الماضي.. الأسماء تتغير.. الوجوه تتغير..
الأدوات تتغير.. الأماكن تتغير.. ولكن الباحث المتبصر لا
ينخدع بهذا الظاهر.. فهو ينفذ إلى العمق ليجد الواقع القديم
ذاته، ولكن تحت أشكال جديدة.. هذه هي سنن التاريخ.

• خطبة مشهورة:

ومن نماذج ما تحدّث به الإمام مسترشداً بالتاريخ، خطبةٌ
رواها الشريف الرضي في نهج البلاغة وعلّق عليها ابن أبي
الحديد شارح النهج بقوله: (هذه الخطبة من جلائل خطبه
«عليه السلام» ومن مشهوراتها، قد رواها الناس كلّهم،
وفيها زيادات حذفها الرضي.. أوّل خطبة خطبها أمير
المؤمنين علي «عليه السلام» بالمدينة في خلافته).. فماذا
قال فيها؟

(ذمّتي بما أقولُ رهينة، وأنا به زعيم) أي أنا على يقين
من كلامي ومسؤول عما أقول (إنّ من صرّحت له العبرُ عمّا
بين يديه من المثّلات، حجزته التقوى عن تقحّم الشُّبهات)
من يتفحص حال الآخرين فيما نزل بهم من سوء حال وينظر

إليهم نظر المتبصّر، فإنه يُفترض به أن يتعظ، فيمتنع عن الوقوع فيما وقعوا فيه من أخطاء، وفي ما يُحتمل أن يكرروا من خلاله التجربة.

(ألا وإنّ بليّتكم قد عادت كهيّتها يوم بعث الله نبيّه «صلى الله عليه وآله») لقد عادت الصور القديمة للانقسامات القبلية والفئويّة التي عهداها المجتمع العربي الجاهلي بكلّ ما كانت تحتويه هذه الصور من روح قبلية وعنصرية، وأخلاقيات جاهلية رجعيّة. ذلك الوضع البائس بما احتواه من فساد اجتماعي وانحطاط أخلاقي وحضاري نتيجة سيادة قيم الجاهلية ونظرة الجاهلية إلى الكون والحياة والإنسان، اعتبره الإمام «عليه السلام»: بليّة.. مصيبة.

وما عودتها من جديد إلا بسبب أن الحياة قد دبّت - مرة أخرى - في القيم التي ولّدتها، وعلى حساب القيم الجديدة التي جاء بها الإسلام.. فما هي النتيجة المحتومة والمرتبقة؟ (والذي بعثه بالحقّ، لتبليّن بلبلة، ولتغريّن غربة، ولتُساظنّ سوط القدر حتى يعود أسفلكم أعلاكُم، وأعلاكُم أسفلكم). إن هذه البليّة التي عادت ستكون لها آثار مأساوية على المجتمع الإسلامي. ستخرج عن هذه البليّة أزمت اجتماعية وثورات وفتن ستلقي بالمجتمع في غمار حروب أهلية

مدمّرة. ألا ترون إلى حال القَدَر التي تغلي على النار وتختلط فيها المواد وتتقلب حتى يكون ما في أسفلها أعلاها، وما في أعلاها في أسفلها؟ هكذا سيكون حالكم.. اضطراب دائم، وقلق مستمر، واختلاط وتداخل، ينتج عن الأزمات والفتن، ويولدها.

• النتيجة المحتومة:

إن المصير الذي ينتظر المجتمع الذي يعيش هذه الحالة لن يكون سوى التمزق والضعف وتعطل التنمية وتدمير الطاقات وضياح النّعَم... فهي عودةٌ منهم لحالة (كُنْتُمْ أَعْدَاءُ) التي لخصت صورة الوضع الجاهلي، والتي أنقذهم الله منها بنعمته، وجعلهم إخواناً بهدايته، فأداروا ظهورهم إلى تلك النعمة العظيمة، وتقدموا من جديد سراعاً إلى شفا حفرة النار. فالإمام يخبرهم أن الجاهلية قد عادت ولكنها عادت متغيّيةً بشعارات الإسلام وبعودتها ستعود آثارها المدمّرة.

• الطير الأبابيل:

في الجاهلية، ونتيجة تشرذم العرب وتنازعهم وبالتالي ضعفهم، وقفوا موقف المتفرج أمام تقدم أبرهة الحبشي نحو البيت الحرام الذي كانوا يقدّسونه أيما تقديس... مئات الكيلومترات قطعها أبرهة بذلك الجيش. ويعلم أهل جزيرة

العرب . دون أن يتجرأ أحد منهم أن يعترض طريقه.. ولولا التدخل الغيبي لحقق مراده دون أية مقاومة.

واليوم مع كل هذا التشردم والتشطي في الساحة الإسلامية، والتنازع العربي العربي، والاحتراب الطائفي، والتي ليست إلا تعبيراً جديداً عن القبلية والحمية الجاهلية، تحت أسماء جديدة وبمبررات مستحدثة تتلاءم ومعطيات العصر، تعيث أجهزة المخابرات الصهيونية والاستكبارية إفساداً وتدميراً، دون أن تجد أمامها مقاومة تُذكر إلا في حالات استثنائية.

• أبابيل المقاومة:

ولولا تلك الاستثناءات.. فئةٌ مؤمنةٌ هنا.. وفئة صابرة هناك.. لكان حال الأمة أسوأ مما هو عليه.. فئات آلت على نفسها أن تقف أمام مخططات الشر التي يرسمها أعداء الأمة، فأعدت العدة، ووطنت النفس على التضحية، فأذهلت العدو، وأنزلت به الصغار، وأرغمت أنفه التراب.. فحيا الله أبطال مقاومة أعداء الأمة أينما كانوا، الذين أعزوا الأمة وهي في أحس حالاتها.. وحيا الله كل المخلصين الذين يمدوهم بأسباب القوة والنصر.. وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم.

• آلام القائد المخدول:

ومن أشد ما قد يواجهه القائد الرسالي تخاذل أنصاره!

ولأمير المؤمنين «عليه السلام» قبل استشهاده بفترة وجيزة كلمات يعبر فيها عن ألمه الشديد من المواقف المتخاذلة من حوله، والتي عبر عنها في أكثر من مناسبة وبأكثر من أسلوب. ومنها قوله: (لقد ملأتم قلبي قيحاً، وشحنتم صدري غيظاً، وجرعتموني نغب التهمام أنفاساً، وأفسدتم عليّ رأيي بالعصيان والخذلان، حتى لقد قالت قريش: إن ابن أبي طالب رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب. لله أبوهـم! وهل أحد منهم أشد لها مراساً، وأقدم فيها مقاماً مني؟! لقد نهضت فيهم وما بلغت العشرين، وها أنا ذا قد ذرفت على الستين، ولكن لا رأي لمن لا يطاع).

• مشاهد قرآنية:

وتقابلها مشاهد من القرآن الكريم.. فقد أنقذ الله بني إسرائيل بالنبى موسى «عليه السلام» من اضطهاد فرعون واستكباره، وخلصهم من نير العبودية والجهل والشرك، وأراهم من المعجزات الباهرات ما أراهم، حتى إذا تجاوزوا كل الصعاب والمراحل وحان وقت قطاف الثمرة قال لهم موسى: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ «المائدة: ٢١».

فماذا كانت ردة فعلهم؟ انقسموا إلى قسمين، وأي قسمين؟

فِي طَرَفِ رَجُلَانِ مُؤْمِنَانِ، وَفِي الطَّرَفِ الْآخِرِ بَقِيَّةُ بَنِي إِسْرَائِيلَ! ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَنُودُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ «المائدة: ٢٢-٢٣» فهل غيروا موقفهم؟

﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنَنُودُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاهْجُبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ «المائدة: ٢٤».

والنتيجة: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ، قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ «المائدة: ٢٥-٢٦».

• تملل المسلمون:

وهكذا عاش قسمٌ من المسلمين في أواخر حياة النبي «صلى الله عليه وآله» حالة من التملل والشعور بالإجهاد والثقل في الحركة حتى قال الله «عز وجل»: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْضَرُّوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْقِلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ «التوبة: ٣٨».

وجاء هذا بعد كل النصر الذي تحقّق في المعارك الكبرى وفتح مكة وحنين والطائف، والانتقال من موقع الضعف إلى القوة المطلقة في الجزيرة العربية. وماذا سيترتب على الموقف إن لم يستجيبوا؟ ﴿إِلَّا تَنْفُرُوا يُعَذِّبَكُمُ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ «التوبة: ٣٩».

بالطبع أنا لا أريد أن أقول أن المسألة سهلة، ولا أذكر هذا من باب التعالي.. فأكثر من ٧٠ غزوة وسريّة خلال ١٠ سنوات! الأمر ليس بالسهل. سفر.. واحتمال الموت أو الإصابة بعاقة وترك مصدر الرزق ولربما يكون ذلك في موسم الحصاد كما في غزوة تبوك، والإنفاق من المال الخاص لتمويل الخروج للقتال، وترك الأطفال، وغير ذلك.. الأمر صعب جداً. فعلاً مَنْ يتحمل مثل هذا الوضع الضاغط؟

ولكنهم في النهاية استجابوا ونفروا للقتال، ثم دخل الناس في دين الله أفواجا، ثم انفتحت لهم كنوز الدنيا في المشرق والمغرب على مدى العقود اللاحقة حتى غدت دولة الإسلام القوة العظمى في العالم بأسره.

• السُّنَّةُ فِي الصَّرَاعِ:

فإذاً هذه هي سُنَّةُ الحياة في الصراع بين الحق والباطل،

والخلل ليس في القادة الذين يتحملون مسؤولياتهم على أكمل وجه، ويقدمون كل التضحيات طاعةً لله، بل الخلل في الناس حين يتخلون عن مسؤولياتهم.

ولأمير المؤمنين «عليه السلام» كلمةٌ يربط فيها بين تلك المشاهد التاريخية وبين ما كان يعانيه، وذلك حين دعا أنصاره وهو في النهروان بعد الانتصار على الخوارج للتوجه نحو الشام فتعذروا له بأعذار شتى، فقال: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ فتلکئوا عليه وقالوا إن البرد شديد. فقال: إنهم يجدون البرد كما تجدون، فتلکئوا وأبوا، فقال: أف لكم! إنها سنةٌ جرت. ثم تلا قوله: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جِبَارِينَ وَإِنَّا لَنَدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾).

وهكذا اضطر الإمام أن يعود إلى الكوفة عن غير رضا، وعسكر في النخيلة، قال ابن أبي الحديد: (أمر الناس أن يلزموا معسكرهم، ويوطنوا على الجهاد أنفسهم، وأن يقتلوا زيارة النساء وأبنائهم حتى يسير بهم إلى عدوهم، و كان ذلك هو الرأي لو فعلوه. لكنهم لم يفعلوا وأقبلوا يتسللون ويدخلون الكوفة فتركوه «عليه السلام» و ما معه من الناس إلا رجال من وجوههم قليل! و بقي المعسكر خالياً!

فلا مَنْ دخل الكوفة خرج إليه، ولا مَنْ أقام معه صبر، فلما رأى ذلك دخل الكوفة). فبماذا عوّضهم الله عن علي؟ لقد ابتليت الأمة بمائة سنة من حكم آل أمية!

• وعي السنن:

مرة أخرى تتبين لنا أهمية وعي سنن التاريخ في وعي الحاضر من خلال دراسة الماضي، لا بعنوان أن أحداثه تمثل مجموعة قصصية نراكم من خلالها معارفنا، أو نتسلّى بها في أوقات فراغنا، بل بعنوان أن الماضي مدرسة الحاضر الذي نفتح من خلاله عقولنا كي لا نكرر الخطأ الذي وقع فيه السابقون، ومن أجل أن نبحت عن نقاط القوة التي من خلالها حققوا ما حققوه في مواطن النصر والإعمار والتطوير، وليكن لنا في أمير المؤمنين «عليه السلام» أسوة وهو القائل: (إنّي وإن لم أكن قد عمّرتُ عُمرَ مَنْ كان قبلي، فقد نظرتُ في أعمارهم، وفكرتُ في أخبارهم، وسرتُ في آثارهم حتّى عدتُ كأحدهم، بل كأنّي بما انتهى إليّ من أمورهم قد عمّرتُ مع أولّهم إلى آخرهم، فعرفتُ صفو ذلك من كدره، ونفعه من ضرره).

(٤)

منهج الإصلاح عند الإمام علي عليه السلام

من أهم ما يميز الفترة التي حكم فيها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» هو نهوضه بمشروع الإصلاح عقب مبايعته مباشرة، وعلى عدة جبهات، ولم تكن عملية سهلة، فلقد برزت العقبات العديدة وسعى الإمام والمخلصون من أصحابه جاهدين لتذليل تلك الصعوبات، بل واضطر الإمام لخوض حروب متتالية في فترات متتالية، كلّفته الكثير، إلا أنه أصر على المضي، لقداسة الهدف الذي خطط للوصول إليه.

وإن لم يكن الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» قد نجح في تحقيق الصورة الكاملة لعملية الإصلاح بسبب قصر مدة حكمه وتوالي الحروب وتجدد التحديات، إلا أنه قدّم نموذجاً عملياً لما ينبغي أن تكون عليه أية حكومة إصلاحية تواجه فساداً قد نخر إلى العظم، وأتى على كل مقومات النهوض والتقدم في الدولة.

وفيما يلي أهم العناوين الإصلاحية التي أخذ الإمام علي «عليه السلام» على عاتقه تحقيقها:

١. الإصلاح السياسي:

كان لبعض الولاة على عهد الخليفة عثمان بن عفان دور أساسي في ما وصلت إليه الأمور من فتن جرت في نهاية المطاف إلى مقتله، إذ اعتبروا أن ما تحت أيديهم من سلطان ملك خالص لهم يتصرفون فيه كيفما شاؤوا، وأن الرعية بمثابة العبيد عندهم، يسوسونهم بمزاجية الحاكم المستكبر، وبتعبير أحدهم: (إنما السواد) جنوب العراق (بستان لأغليمة قريش!)، وهو ما مثل انقلاباً على مفهوم الحكم وفق سيرة النبي «صلى الله عليه وآله»، وتابعه على ذلك الخليفان أبوبكر وعمر، إذ كان الحاكم في موقع الخدمة للأمة لا الاستعلاء والاستغلال. ولم يكتف أولئك الولاة وأتباعهم من الإداريين بذلك، فقد اتخذوا سياسات تعسفية تجاه الرعية، وبدأت بعض مظاهر الفساد الأخلاقي والجهر بالمعاصي تنتشر علناً في المجتمعات الإسلامية، مما أثار حفيظة الغيارى من الصحابة والتابعين، ودفعتهم للتصدي لبعض تلك المظاهر.

ولذا جاءت قرارات عزل الولاة في مقدمة القرارات الإصلاحية الحاسمة التي اتخذها الإمام، ولم يسمح لنفسه ولا للآخرين أن يداهنوا في هذا الأمر، انطلاقاً من إيمانه بأصل مبدأ الإصلاح واجتثاث الفساد من جذوره، ومراعاةً للشعور الشعبي العام وتوافقاً مع النقمة العارمة التي احتقنت

في صدور الناس حين ذاقوا الأمرين من جراء السياسات الهوجاء التي سار بها أولئك الولاة. وقد روى الطبري في تاريخه أن المغيرة بن شعبه دخل على الإمام علي فقال له: (إني لك ناصح، وإني أشير عليك برء عمال عثمان عامك هذا، فاكتب إليهم بإثباتهم على أعمالهم، فإذا بايعوا لك واطمأن الأمر لك عزلت من أحببت وأقررت من أحببت. فقال الإمام: والله لا أدهن في ديني ولا أعطي الدني في أمري).

٢. الإصلاح المالي:

فقد حصل بعض الأفراد على امتيازات مالية هائلة وسُخرت لهم إقطاعات ضخمة، في مخالفة صريحة للسياسة النبوية في العطاء من مداخل بيت المال مما كان يوزع بين المسلمين على سبيل المساواة، وظهرت في المقابل طبقة فقيرة تنم من ضغوطات الحياة الاقتصادية في الوقت الذي كانت فيه الفتوحات الإسلامية قد فتحت أبواب النعيم على الأمة.

روى ابن أبي الحديد المعتزلي عن ابن عباس قال: (إن علياً خطب في اليوم الثاني من بيعته بالمدينة فقال: ألا إن كل قطيعة أقطعها عثمان، وكل مال أعطاه من مال الله، فهو مردود في بيت المال. فإن الحق القديم لا يبطله شيء، ولو وجدته قد تزوج به النساء، وفُرق في البلدان لرددته إلى

حاله، فإنَّ في العدل سعة، ومن ضاق عليه الحق فالجور عليه أضيّق).

وروى أيضاً أنه عندما عوتب الإمام على التسوية في العطاء، قال «عليه السلام»: (أتأمروني أن أطلب النصر بالجور فيمن وُلِّيت عليه؟ والله لا أطور به ما سَمَر سمير، وما أمَّ نجم في السماء نجماً. ولو كان المال لي لسويت بينهم، فكيف وإنما المال مال الله ۱٩).

٣. الإصلاح الديني والثقافي والإعلامي:

كان لاتساع رقعة دولة الإسلام، ودخول شعوب عديدة تحت سيطرة الحكم الإسلامي حاملة خلفياتها الدينية والثقافية والسلوكية، وانشغال كثير من الرعييل الأول من المسلمين بالفتوحات، وفساد بعض الولاة أثرٌ سلبي على صعيد الحفاظ على المضمون الإسلامي للمجتمعات الإسلامية، فبرزت على أثر ذلك مظاهر طالما حاربها النبي «صلى الله عليه وآله»، من قبيل انتهاك حرمة الناس والاعتداء على حقوقهم وممتلكاتهم، واستضعاف بعض شرائح المجتمع، بالإضافة إلى شرب الخمر والغناء وشعر المجون وانتشار القصّاصين رواة الأساطير والأحاديث الكاذبة.

وقد اتخذ الإمام علي «عليه السلام» اجراءات في هذا

الصدد، ولعل أهم عناوين الإصلاح في هذا الإطار ما جاء في خطاب مبكر صادر عنه بُعيد تسلمه مقاليد الحكم حيث قال: (إن الله «تعالى سبحانه» أنزل كتاباً هادياً بين فيه الخير والشر، فخذوا نهج الخير تهتدوا، واصرفوا عن سمت الشر تقصدوا. الفرائض الفرائض، أدوها إلى الله تودكم إلى الجنة. إن الله حرم حراماً غير مجهول، وأحل حلالاً غير مدخول، وفضل حرمة المسلم على الحرمة كلها، وشدّ بالإخلاص والتوحيد حقوق المسلمين في معاقدها، فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده إلا بالحق، ولا يحل أذى المسلم إلا بما يجب... اتقوا الله في عباده وبناته، فإنكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم، وأطيعوا الله ولا تعصوه، وإذا رأيتم الخير فخذوا به، وإذا رأيتم الشر فأعرضوا عنه).

• معالم الإصلاح العلوي:

١. عدم المداهنة ورفض أية محسوبية في العملية الإصلاحية حتى مع أقرب الناس إليه، وقضية أخيه عقيل مشهورة حيث جاءه وقد كبر سنه وفقد بصره وكثر عياله فطالب بزيادة من بيت المال، فقرب الإمام إلى يده حديدة محماة أوجعته، فقال له: (أتئن من حديدة أحماها إنسانها للعبه، وتجرنني إلى نارٍ سجّرها جبارها لغضبه؟!).

٢. تعيين المراقبين العامّين، فقد تعددت في مصادر التاريخ رسائل الإمام «عليه السلام» التي كان يبعثها إلى ولاته ويذكر فيها أنه أحيط علماً بسلوك غير مرضي عنه قد سلكه الوالي أو أحد موظفيه، وهو ما يعكس حقيقة أنه كان قد عين مراقبين مأمونين يقدّمون له التقارير المستمرة حول الأداء الوظيفي للولاة ومن يتبعهم، ففي نهج البلاغة أنه كتب إلى أحد ولاته: (أما بعد، فقد بلغني عنك أمر إن كنت فعلته فقد أسخطت ربك، وعصيت إمامك، وأخزيت أمانتك. بلغني أنك جرّدت الأرض، وأخذت ما تحت قدميك، وأكلت ما تحت يديك. فارفع إليّ حسابك، واعلم أن حساب الله أعظم من حساب الناس. والسلام).

٣. اجتثاث الفساد من جذوره، فأنصاف الحلول لم تكن لتُصلح الأوضاع، ولذا كان يصرّ على عزل بعض الولاة وإجراء القوانين بحذافيرها وإن أغضبت أقواماً وألّبت عليه آخرين.

٤. عدم التساهل في إنزال العقوبة بمن يستغل منصبه لأهدافه الشخصية، ولذا وجّه كتاباً إلى زياد بن أبيه وكان نائباً لابن عباس على البصرة قال فيه: (واني أقسم بالله قسماً صادقاً لئن بلغني أنك خنت من فئ المسلمين شيئاً صغيراً أو كبيراً، لأشدنّ عليك شدة تدعك قليل الوفر، ثقیل الظهر، ضئیل الأمر، والسلام) «نهج البلاغة».

٥. تقديم أسس العمل الإداري والسياسي لموظفيه، وقد حفظ لنا التاريخ مجموعة من النصوص المدونة بعضها يخص الولاة، وبعضها يخص جباة الصدقات، وبعضها أمراء الجيوش والأجناد. وأوسع وثيقة في هذا الصدد كتابه إلى واليه على مصر مالك الأشتر والذي ذكره الشريف الرضي في نهج البلاغة.

٦. فتح باب الحرية السياسية المسئولة، بحيث يحق لكل أحد أن يعبر عن رأيه وموقفه السياسي مادام كان منطلقه المصلحة العامة، وأن يناقش الإمام «عليه السلام» في قراراته، كما لم يحارب أحداً لمجرد كونه معارضاً، بل إنه أعطى معارضيه الحرية في أن يسألوا وأن يعارضوا، ولكن عندما كانوا يسيئون إلى النظام ويعتدون على الأبرياء فإنه كان يتدخل. وقد روي أن بعض الخوارج كان جالساً في مجلس علي «عليه السلام» وهو يتحدث، فقال الخارجي: (قاتله الله كافراً ما أفقهه)، فوثب القوم ليقتلوه، فقال لهم الإمام: (رويداً، إنما هو سبّ بسبّ، أو عفو عن ذنب).

إن ما سبق يمثل عرضاً سريعاً لمنهج ومعاليم الإصلاح في سيرة أمير المؤمنين الإمام «علي عليه السلام»، وحمري بالمهتمين أن يطلعوا على تفاصيل البحث والنصوص من خلال الدراسات التي كتبها جمع من الباحثين والمختصين.

توكل وقوة وعفو

قال «تعالى»: ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ، وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ، وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ، وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ، وَجِزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ، وَلَمَنْ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ، إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ الشورى: ٣٦-٤٣.

• تجسيد القيم في علي:

عندما تتمعن في هذه الآيات تتجسد أمامك شخصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام»، لاسيما عندما تسترجع تفاصيل سيرته خلال سنوات الحكم التي لم تكمل الخمس. فعناوين العبودية الخالصة لله «سبحانه» والتوكل

عليه والعفو عند المقدرة وإعمال الشورى والعطاء المادي والمعنوي والقوة في مواجهة البغي والتوازن في ردة الفعل تجاه المعتدي والركون إلى العفو والإصلاح عند توفر الأرضية لذلك.. كلها حاضرة في تلك السيرة، ونهج البلاغة في خطبه وكتبه وحكمه غني في هذا الإطار. وسأختار بعض ما سبق من عناوين من تجليات ذلك التجسيد.

• التوكل على الله:

التوكل على الله «سبحانه» يمثل اللجوء الكامل إليه والإيمان المطلق بقدرته وقوته، فما من شيء يغيب عنه، وما من شيء يحدث إلا بإذنه، ولو شاء أن يغير المقادير غيرها: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، تُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتَوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ «آل عمران: ٢٦-٢٧»، يمثل هذه العقيدة الواضحة ينطلق المؤمن في التوكل على الله، لأن النتيجة المفروضة هي الإيمان بأنه ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ «الطلاق: ٣».

وقد روي عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أنه قال: (من

أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله، ومن توكل على الله ذلت له الصعاب وتسهّلت عليه الأسباب).

في نهج البلاغة أنّ أحد من كان في جيش الإمام علي «عليه السلام» عندما خرج لقتال الخوارج قال له: (يا أمير المؤمنين إن سرت في هذا الوقت خشيتُ أن لا تظفر بمرادك من طريق علم النجوم). فقال «عليه السلام» بذلك الإيمان العميق والتوكل التام: (أتزعم أنك تهدي إلى الساعة التي من سار فيها صرف عنه سوء، وتخوف من الساعة التي من سار فيها حاق به الضر؟ فمن صدق بهذا فقد كذب القرآن واستغنى عن الإعانة بالله في نيل محبوب ودفع المكروه، وتبتغي في قولك للعامل بأمرك أن يوليكَ الحمد دون ربه، لأنك بزعمك أنت هديته إلى الساعة التي نال فيها النفع وأمن الضر؟) ثم أقبل «عليه السلام» على الناس فقال: (أيها الناس إياكم وتعلم النجوم إلا ما يُهتدى به في بر أو بحر، فإنها تدعو إلى الكهانة والمنجم كالكاهن والكاهن كالساحر والساحر كالكاfer والكافر في النار. سيروا على اسم الله).

• بين القوة والعفو:

وأما العنوان الآخر فهو أن في الآيات خطاب حول اللجوء إلى القوة في مواجهة العدوان، فالخلود إلى الضعف غير مقبول،

والاستسلام أمام حركة البغي التي لا تتورع عن الظلم غير مبرّرة، لأن الله «عز وجل» لا يحب الظلم، ولأن السكوت عن الظلم قد يشجع الظالم والباغي على التماذي، إلا أنه عندما تكون الفرصة ماثلة أمامك كي تتنازل عن حقك أو أن تعالج الموضوع دون أن تلجأ إلى القوة، لا من موقع الضعف، بل من موقع القدرة على أخذه، انطلاقاً من روحية التسامح في شخصيتك، وترفعاً عن الانتقام لنفسك، وتقرباً إلى الله بذلك، فإن هذا التصرف يمثل قيمة عليا، تدل على قوة ضبط النفس، والصبر، والشهامة، ولذا أحبها الله وندب إليها ووعد عليها بالأجر العظيم.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن مواجهة ذلك البغي يجب أن تكون بحدود البغي نفسه انتزاعاً لذلك من قوله «سبحانه وتعالى»: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ فالعدل الذي يقوم على المعاملة بالمثل مطلوب حتى في مثل هذا الموقف، فلا يزيد حجم العقاب على حجم الجريمة، فذلك هو المقدار المسموح به.

• وصايا الإمام في البصرة:

ولنتصور ذلك في حدود سيرة الإمام علي «عليه السلام» نعود إليه في لحظات حاسمة في حرب البصرة، قبيل بدء الحرب ليوجّه تعليماته إلى جنده، لا بروحية الباحث عن

الانتقام والتشفي، بل بروحية المضطر إلى القتال، الذي يلتزم
برد الإساءة بمثلها لا أكثر، هذا إن لم يمكن التجاوز والعفو،
فهو الأقرب إلى قلبه «عليه السلام».. قال: (لا تقاتلوا القوم
حتى يبدؤوكم حُجة أخرى، وإذا قاتلتموهم فلا تُجهزوا على
جريح، وإذا هزمتموهم فلا تُتبعوا مدبراً ولا تكشفوا عورة
ولا تمثلوا بقتيل، وإذا وصلتكم إلى رحال القوم فلا تهتكوا
ستراً ولا تدخلوا داراً ولا تأخذوا من أموالهم شيئاً، ولا
تهيِّجوا امرأة بأذى وإن شتمن أعراضكم وسبين أمراءكم
وصلحاءكم).

في صفين استبطأ أنصار الإمام الإذن في القتال وقالوا:
(يا أمير المؤمنين، خلّفنا ذرارينا ونساءنا بالكوفة، وجئنا
إلى أطراف الشام لنتخذها وطناً ! ائذن لنا في القتال، فإن
الناس قد قالوا. قال لهم «عليه السلام»: ما قالوا ؟ فقال
منهم قائل: إن الناس يظنون أنك تكره الحرب كراهيةً
للموت، وإن من الناس من يظن أنك في شك من قتال أهل
الشام. فقال عليه السلام: ومتى كنت كارهاً للحرب قط ؟ !
إن من العجب حبّي لها غلاماً ويفعاً، وكراهيتي لها شيخاً
بعد نفاذ العمر وقرب الوقت ! وأما شكّي في القوم فلو شككت
فيهم لشككت في أهل البصرة، والله لقد ضربتُ هذا الأمر
ظهراً وبطناً، فما وجدت يسعني إلا القتال أو أن أعصي الله

ورسوله، ولكني أستاذني بالقوم، عسى أن يهتدوا أو تهتدي
منهم طائفة، فإن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال لي
يوم خيبر: لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك مما
طلعت عليه الشمس).

وبحسب نهج البلاغة أنه قال في مثل هذا الموقف: (أما
قولكم أكل ذلك كراهية الموت؟ فوالله ما أبالي أدخلتُ إلى
الموت أو خرج الموتُ إلي. وأما قولكم شكاً في أهل الشام؟
فوالله ما دفعت الحرب يوماً إلا وأنا أطمع أن تلحق بي
طائفةٌ فتتهدي بي وتعشو إلى ضوئي، وذلك أحب إلي من
أن أقتلها على ضلالها وإن كانت تبوء بآثامها).

هكذا كان علي «عليه السلام» في إيمانه.. في توكله.. في
قوته.. في بصيرته.. في قلبه الكبير.. وفي كريم خلقه..

منابع الحرية عند علي عليه السلام

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾
«الأعراف: ١٥٧».

من أهداف إرسال الرسل - وخاتمهم محمد «صلى الله عليه وآله» - فك القيود التي قيد الإنسان نفسه بها وحمل أثقالها فأرهقته، دون أن يكون لها أي مردود إيجابي يُذكر.. فكانت هذه قيود تكبل حريته وتعيقها في حياته. وكان أمير المؤمنين علي عليه السلام ربيب مدرسة الرسالة المحمدية، فعمل على ترسيخ الحرية في أكثر من بعد.. لم يكن مفهوم الحرية في ذلك الزمان يحمل دلالات كما يحملها اليوم، ولربما الدلالة الأبرز - وقيل الوحيدة - التي كانت لها هي الحرية في مقابل الرقبة وعبودية الإنسان للإنسان.. أما عند علي «عليه السلام» فقد كانت لهذه المفردة دلالات أعمق جاوز بها الزمن قروناً طويلة

في أصل طرحها، وفي إدراك عمقها، دلالات تجلّت في سلمه وحر به.. في حكومته وسياسته وإدارته.. في علاقاته الاجتماعية وفي سلوكياته الفردية.. في تربيته لأبنائه وأصحابه.

• قيود العلاقات:

عندما تكون هناك عناوين اجتماعية أو امتدادات تاريخية تفرض على الإنسان أن يتخذ قرارات تكون سبباً لإلحاق الضرر بالآخرين - ولذا فهي تخالف قناعاته - فهذا يكون من التقييد والإصر الذي يضاد الحرية التي آمن بها علي «عليه السلام» وعمل على ترسيخها. ولذا كان الإمام علي حاسماً في رفض طلبات من ناصروه وبايعوه بعد قتل الخليفة عثمان بن عفان حين استشف منهم أنهم إنما يريدون ثمن تلك النصر، أو الاستفادة من العنوان الاجتماعي أو صلة القربى التي تربطهم به.. رفض ليكون حراً أمام أي عنوان من هذا القبيل، وفكّ نفسه من أي قيد يدفعه لفعل ما يخالف قناعاته ويضر بالآخرين.. وقدم بذلك لكل الولاة والمسؤولين نموذجاً حياً للحرية في هذا الإطار: (والله لأن أبيت على حَسَك . شوك . السعدان مسهداً، وأجر في الأغلال مصفداً، أحب إلي من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد، وغاصباً لشئ من الحطام. وكيف أظلم أحداً لنفس يسرع إلى البلى قفولها، ويطول في الثرى حلولها؟ والله لقد رأيت عقيلاً)

بن أبي طالب (وقد أملق حتى استماحني من بُرْكم صاعاً، ورأيت صبيانه شعث الشعور غبر الألوان من فقرهم كأنما سُودَّت وجوههم بالعظم . صبغة سوداء . وعلاودني مؤكداً وكرّر عليّ القول مردداً، فأصغيت إليه سمعي فظن أني أبيعُه ديني وأتبع قياده مفارقاً طريقي، فأحميت له حديدة ثم أدنيتها من جسمه ليعتبر بها فضج ضجيج ذي دَنَف . مرض . من ألها، وكاد أن يحترق من ميسمها . فقلت له ثكلتك الثواكل يا عقيل، أتنن من حديدة أحماها إنسانها للعبه، وتجرنني إلى نار سجّرها جبارها لغضبه؟ أتنن من الأذى ولا أئن من لظى؟ وأعجب من ذلك طارقُ طرقنا بملفوفة في وعائها ومعجونة، شننّتها . كرهتها . كأنما عُجنت بريق حية أو قيئها، فقلت أصلة أم زكاة أم صدقة؟ فذلك محرّم علينا أهل البيت . فقال: لا ذا ولا ذاك، ولكنها هدية . فقلت هبلك الهبول، أعن دين الله أتيتني لتخدعني، أمخبط أنت أم ذو جنة أم تهجر؟).

• قيود الرغبات:

(مَنْ ترك الشهوات كان حراً) .. بهذه الحكمة حرّر عليّ نفسه من شهواته والتعلّق بالدنيا، فكان الزاهد الذي لا يرى في الدنيا قيمة إلا بما تمثله من وسيلة لتحقيق العبودية لله «سبحانه»، وهي العبودية الوحيدة التي آمن بها علي، وبما

تمثّله من مجال لخدمة الإنسان وعمارة الأرض بالخير، ولذا اعتبر أن الدنيا: (مسجد أحبّاء الله، ومصلّى ملائكة الله، ومهبط وحي الله، ومتجر أولياء الله. اكتسبوا فيها الرحمة، وربحوا فيها الجنة).. وكان الزاهد الذي لا يرى في الملك قيمة إلا بما يمثله من موقع لإحقاق الحق وإقامة العدل: (والله لو أُعطيتُ الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلت! وإنّ دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة تقضمها! ما لعلي ولنعم ينفي ولذة لا تبقى؟! نعوذ بالله من سبات العقل وقبح الزلل وبه نستعين).

وبالغ علي «عليه السلام» في تحرير نفسه حتى حرّمها من مُتّع كان يمكنه أن ينالها بما هو مباح له، لأنه كان يرى أن موقعه يفرض عليه أن يواسي الطبقة الأشد فقرًا في المجتمع: (ولو شئت لاهتديت الطريق إلى مصفى هذا العسل ولباب هذا القمح ونسائج هذا القز، ولكن هيهات أن يغلبني هواي ويقودني جشعي إلى تخيّر الأطعمة. ولعل بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص ولا عهد له بالشبع، أو أبيت مبطّاناً وحولي بطون غرثى وأكباد حرى؟ أو أكون كما قال القائل:

وحسبك داءً أن تبيتَ ببطنةٍ وحوالك أكباد تحنّ إلى القدِّ

أَقْنَعُ مِنْ نَفْسِي بِأَنْ يَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا أَشَارِكُهُمْ فِي مَكَارِهِ الدَّهْرِ، أَوْ أَكُونَ أَسْوَأَ لَهُمْ فِي جَشْوَةِ الْعَيْشِ؟) .. تَحَرَّرَ عَلِيٌّ «عَلَيْهِ السَّلَامُ» مِنْ كُلِّ ذَلِكَ لِتِفَلَّتْ مِنْ كُلِّ قَيْدٍ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ إِقَامَةِ الْعَدْلِ عَلَى الصَّدِيقِ وَالْعَدُوِّ مَعًا. وَلَكِنَّهُ فِي ذَاتِ الْوَقْتِ أَوْصَى وَلَاتَهُ بِأَنْ يَوْسَعُوا عَلَى الْقَضَاةِ كَيْ لَا يُضْطَرُّوا إِلَى الرِّشْوَةِ مِمَّا يُوْدِي إِلَى ظُلْمِ الْحَقِّ وَمَسَايِرَةِ الْبَاطِلِ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ الْآخِرِينَ لَنْ يَتَحَمَّلُوا مَا يَتَحَمَّلُهُ: (أَلَا وَإِنْ إِمَامَكُمْ قَدْ اكْتَفَى مِنْ دُنْيَاهُ بِطُمْرِيهِ، وَمِنْ طُعْمِهِ بِقُرْصِيهِ. أَلَا وَإِنْكُمْ لَا تَقْدَرُونَ عَلَى ذَلِكَ، وَلَكِنْ أَعَيْنُونِي بِوَرَعٍ وَاجْتِهَادٍ، وَعِفَّةٍ وَسَدَادٍ).

• تقوى الأحرار:

وحتى تقواه وعلاقته بربه بناها على أساس الحرية، فهناك تقوى مصطنعة يقيّد الإنسان بها نفسه مراعاةً لبيئته، أو رغبةً في مكسب دنيوي يحققه.. وهناك تقوى نابعة من طمع مشروع في عطاء إلهي أخروي، أو هروبٍ من عقاب إلهي أخروي.. ولكن علياً تحرر من ذلك كله، فكانت تقواه نابعة من قناعته بأنها طريق الخير والحق، وأنها هي التي تحقق إنسانيته، وأنها هي التي فيها رضا الله، فكل عبودية ساقطة عند علي إلا العبودية لله، فهي التي ترفع الإنسان: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ «مريم: ٥٧».. ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ «الشرح: ٤».

• حرية العمل:

وكانت للحرية في دائرة الحقوق العامة حضورها الواضح في كلمات علي وفي أفعاله، فهو لم يستكره أحداً على مبايعته، بل تركهم على خطئهم، وهو واثق بأنهم على خطأ.. وحتى حين بلغه أن بعضهم يرحل من الحجاز والعراق التحاقاً بمعاوية، فما كان من علي ليصدّهم، ولا حاول استبقاءهم وإغراءهم، فهم في قناعاته أحرار يعملون عن مدى تصوّرهم: (اللهم إني دللتهم على طريق الرحمة وحرصتُ على توفيقهم بالتنبيه والتذكّر، ليثيب. يرجع. راجع ويتّعظ متذكّر، فلم يُطع لي قول. اللهم إني أعيد عليهم القول).. وكأنه «عليه السلام» يعيد صياغة الآية بكلماته: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ، لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ «الغاشية: ٢١-٢٢». وحينما كتب إليه واليه على المدينة سهل بن حنيف يخبره بأنّ قوماً من أهلها لحقوا بمعاوية قال: (فلا تأسف على ما يفوتك من عددهم ويذهب عنك من مددهم، فإنما هم أهل دنيا مقبلون عليها ومسرعون إليها. وقد عرفوا العدل ورأوه وسمعوه ووعوه، وعلموا أن الناس عندنا في الحق أسوة، فهربوا إلى الأثرة، فبعداً لهم وسُحقاً، إنهم والله لم ينفروا من جور، ولم يلحقوا بعدل).

• حرية القرار:

وحين أخبره الخريت بن راشد بأنه لن يأتّم به، ولن يشهد

معه الصلاة، ولن يَأْتَمِرَ بما يأمر ولن يكون له سلطان عليه
فما كان من علي «عليه السلام» إلا أن أقرّه على ما ارتأى،
وخلاّه حُرّاً في ما شاء.. حتى إذا خرج الخريّت من الكوفة
مع جمع من أنصاره لم يستكرههم على البقاء، وببده ذلك،
فلما أساءوا استغلال هذه الحرية فاعتدوا على الأبرياء ونهبوا
وأفسدوا، أرسل إليهم من أنصَفَ منهم للأرض وللناس.

وحتى في الحرب لم يستكره علي «عليه السلام» أحداً ليكون
من أنصاره، لا بقهر مادي ولا بإجبار معنوي، إنما كان يتوجه
إلى عقولهم بمنطق العقل والحجة، ويتوجّه إلى قلوبهم بمنطق
الضمير والدليل، فإنّ ثابوا إليه أثنى عليهم، وإنّ تمردوا عاد
عليهم بأبلغ الوعظ وأتم النصيحة.. فهو يأبى أن يلحق به أحد
عن غير بصيرة وإيمان.. وكتاب نهج البلاغة مليء بخطب
الإمام التي يقيم فيها الحجج على خصومه.. تماماً كما امتلأ
القرآن الكريم بآيات الحجج والبراهين، والله غني عن الناس.
لقد كانت الحرية بالنسبة إلى علي أصلاً من أصول
الإنسانية.. حرية نابعة من العبودية لله «سبحانه»، فلا يتجاوز
فيها طبيعة العلاقة التي تربط العبد بخالقه.. وحرية نابعة
من إيمانه بالمسؤولية فلا يرضى لها أن تتحول إلى أداة تسيء
لحرية الآخرين أو الإضرار بهم أو الإفساد في الأرض.

(٧)

شُرطة الخميس

تطالعنا سيرة أمير المؤمنين علي «عليه السلام» بخبر تشكيله قوة عسكرية من ستة آلاف عنصر باسم «شُرطة الخميس». وإذا عرفنا أن كلمة الخميس تعني الجيش، إذ كان يقسّم إلى خمسة أقسام، نعرف لماذا سمّوا شُرطة الخميس من خلال الخبر التالي إذ روي أن الأصبغ بن نباتة - وكان على رأس هذه القوة في معركة صفين - سئل: (كيف سُميت شُرطة الخميس يا أصبغ؟ فقال: إنا ضمنا له الذبج) أي الاستماتة في قتال العدو (وَضَمْنٌ لَنَا الْفَتْحُ). أي أنهم بايعوه على الموت والاستبسال في طريق تحقيق مهامهم المحددة.

• مميزات شُرطة الخميس:

وكانت لهذه القوة العسكرية مميّزات:

١. في المعاجم اللغوية: (الشُرطة أو الشُرطة: أوّل كتيبة تحضر الحرب وخيار جند السلطان ونخبة أصحابه الذين يقدمهم على غيرهم من جنده) فهي القوة الفدائية التي تستبسل من أجل تحقيق النصر ضد العدو.

٢. كانت تضم خيرة وصفوة الناس في زمانه إيماناً وتقوى وعملاً. فمن الصحابة ضُمَّت مثلاً: «المقداد وعمار وقيس بن سعد بن عباد، وسهل وعثمان ابني حنيف الأنصاريين». ومن غيرهم ضُمَّت مثلاً: «الأصبغ بن نباتة، وعمرو بن الحمق الخزاعي، وميثم التمار، ورشيد الهجري، وحبيب بن مظاهر الأسدي، ومحمد بن أبي بكر، والحارث الهمداني». حتى أنه إذا ذُكر أن فلاناً كان من شرطة الخميس كفاه ذلك مدحاً، فتقرأ مثلاً قولهم في سليم بن قيس: (كان من شرطة الخميس، وبذلك يُعلم جلالة سليم).

٣. في ذات الوقت الذي كانت تؤدي فيه مهامها العسكرية على جبهات القتال، أدت مهاماً داخلية ضمن المجتمع الذي كان يدير الإمام شؤونَه، بصورة تقرب من دور الشرطة في هذا الزمان. وفي المصادر أكثر من خبر يؤيد هذا المعنى، ومنها الخبر التالي المروي عن الإمام محمد الباقر عليه السلام: (إن شاباً قال لأَمير المؤمنين «عليه السلام»: إنَّ هؤلاء النفر خرجوا بأبي معهم في السفر، فرجعوا ولم يرجع أبي، فسألتهم عنه فقالوا: مات. فسألتهم عن ماله فقالوا: ما ترك مالا، فقدمتهم إلى شريح فاستحلفهم وقد علمت أن أبي خرج ومعه مال كثير، فقال أمير المؤمنين «عليه السلام»: والله لأحكمن بينهم بحُكم ما حكَم به خلقٌ قبلي إلا

داود النبي «عليه السلام». يا قنبر، ادع لي شُرطَةَ الخميس فدعاهم، فوكل بكل رجل منهم رجلاً من الشرطة، ثم نظر إلى وجوههم فقال: ماذا تقولون؟ تقولون إنني لا أعلم ما صنعتُم بأبي هذا الفتى؟ إنني إذاً لجاهل. ثم قال: فرقوهم وغطوا رؤوسهم. قال: ففرق بينهم وأقيم كل رجل منهم إلى أسطوانة من أساطين المسجد ورؤوسهم مغطاة بثيابهم. ثم دعا بعبيد الله بن أبي رافع كاتبه فقال: هات صحيفة ودواة، وجلس أمير المؤمنين «عليه السلام» في مجلس القضاء، وجلس الناس إليه، فقال لهم: إذا أنا كبرت فكبروا. ثم قال للناس: اخرجوا. ثم دعا بواحد منهم فأجلسه بين يديه وكشف عن وجهه. ثم قال لعبيد الله: اكتب إقراره وما يقول، ثم أقبل عليه بالسؤال فقال له أمير المؤمنين «عليه السلام»: في أي يوم خرجتم من منازلكم وأبو هذا الفتى معكم؟ فقال الرجل: في يوم كذا وكذا. فقال: وفي أي شهر؟ فقال: في شهر كذا وكذا، قال: في أي سنة؟ فقال: في سنة كذا وكذا. فقال: وإلى أين بلغتم في سفركم حتى مات أبو هذا الفتى؟ قال: إلى موضع كذا وكذا. قال: وفي منزل من مات؟ قال: في منزل فلان ابن فلان. قال: وما كان مرضه؟ قال: كذا وكذا. قال: وكم يوماً مرض؟ قال: كذا وكذا. قال: ففي أي يوم مات؟ ومن غسله؟ ومن كفنه؟ وبما كفنتموه؟ ومن صلى عليه؟

وَمَنْ نَزَلَ قَبْرَهُ؟ فَلَمَّا سَأَلَهُ عَنْ جَمِيعِ مَا يَرِيدُ، كَبَّرَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ «عَلَيْهِ السَّلَامُ» وَكَبَّرَ النَّاسُ جَمِيعاً، فَارْتَابَ أَوْلَئِكَ الْبَاقُونَ، وَلَمْ يَشْكُوا أَنَّ صَاحِبَهُمْ قَدْ أَقْرَعَ عَلَيْهِمْ وَعَلَى نَفْسِهِ، فَأَمَرَ أَنْ يُغَطَّى رَأْسُهُ وَيُنْطَلَقَ بِهِ إِلَى السَّجْنِ. ثُمَّ دَعَا بِآخِرِ فَاجِلْسِهِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَكَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ وَقَالَ: كَلَّا، زَعَمْتُمْ أَنِّي لَا أَعْلَمُ مَا صَنَعْتُمْ؟ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا أَنَا إِلَّا وَاحِدٌ مِنَ الْقَوْمِ، وَلَقَدْ كُنْتُ كَارِهاً لِقَتْلِهِ، فَأَقْرَعَ. ثُمَّ دَعَا بِوَاحِدٍ بَعْدُ، كُلُّهُمْ يَقْرَعُ بِالْقَتْلِ وَأَخَذَ الْمَالَ. ثُمَّ رَدَّ الَّذِي كَانَ أَمْرُهُ إِلَى السَّجْنِ فَأَقْرَعَ أَيْضاً. فَالْزَمَهُمُ الْمَالَ وَالْدَمَ. ثُمَّ ذَكَرَ حَكْمَ دَاوُدَ «عَلَيْهِ السَّلَامُ» بِمِثْلِ ذَلِكَ).

• محاسبة دقيقة وحاسمة:

هذه واحدة من المشاهد التي تبيّن الدور الداخلي لشرطة الخميس. وبذلك. كما تذكر المصادر التاريخية. أنه تم تنظيم جهاز الشرطة من قبل الإمام «عليه السلام»، وتبلورت وظيفة «صاحب الشرطة» في خلافته ثم تطورت تدريجياً فيما بعده، واحتفظت بعنوان «الشرطة».

المشهد الآخر الذي تطالعنا به النصوص هي المحاسبة الدقيقة والحاسمة لمن يقوم بهذه المسؤولية فيما لو كان هو مصدر الخلل في المجتمع، ففي الخبر أنه: (بعث علي عليه السلام إلى لبيد بن عطارذ التميمي ليجاء به، فمر بمجلس

من مجالس بني أسد، وفيه نعيم بن دجاجة، فقام نعيم فخلّص الرجل، فأثّوا أمير المؤمنين علياً «عليه السلام» فقالوا: أخذنا الرجل فمررنا به على نعيم بن دجاجة فخلّصه، وكان نعيم من شرطة الخميس، فقال: عليّ بنعيم، فأمر به أن يضرب ضرباً مبرحاً، فلما ولّوا به قال: يا أمير المؤمنين إن المقام معك لذل وإن فراقك لكفر، قال: إنه لكذلك؟ قال: نعم، قال خلّوا سبيله).

ونلاحظ هنا الثمن الذي يدفعه الإمام «عليه السلام» بحاسبته لهذا المخالف، والذي قد يصل إلى حدّ التمرد والالحوق بالأعداء كما حصل في مواقع أخرى، وقد يجبر الأمر إلى تمرد عشيرة ذلك الرجل.. ولكن الإمام لا يتهاون في ذلك لأن المسألة تكمن في أنّه لو فسد من يفترض به أن يكون هو مصدر الأمن والطمأنينة والمحافظة عليهما، فكيف يمكن تحقيق الأمن في المجتمع؟ وكقول المسيح «عليه السلام»: (لو فسد الملح فبماذا يُملح؟).

• ظلال الصورة المشرقة:

هذه الصورة التاريخية المشرقة تلقي بظلالها على الوضع القائم في أجهزة الشرطة وقوى الأمن والعسكريين عموماً في بلادنا في هذا الزمان، حين يتم استغلال المنصب من قبل بعضهم لابتزاز الناس، أو للاستقواء عليهم، أو من خلال

تخليص بعض المجرمين، أو بالارتشاء لتمرير الممنوعات، أو بالتحرش بالنساء وغير ذلك من الصور المؤسفة، وكلها تؤكد ضرورة إعادة النظر في كل النظام القائم في هذا الجهاز الحساس وذلك من خلال النقاط التالية:

١. المراجعة الشاملة لسلوكيات الأفراد والضباط توعية ومراقبة ومحاسبة.

٢. الاهتمام بالانضباط العسكري بين المنتسبين لهذا السلك، وهو ما يشهد حالياً انفلتاً واضحاً لكل مراقب.

٣. تغليظ العقوبات على العسكريين المخالفين، ردعاً لكل من تسوّل له نفسه منهم باستغلال هذا الموقع الوظيفي لإشباع رغباته الدنيئة.

٤. عدم إفساح المجال للوساطات في تغيير مجرى القانون. ولعل من أسوأ ما ابتلي به هذا الجهاز هو الاستجابة لضغوطات بعض المسؤولين ونواب الأمة ممن يسارعون للتدخل ضمن حسابات مصلحة معينة لتجاوز القانون، أو تحويل التهمة من مرتكبها إلى شخص آخر، أو التلاعب في المحاضر بصورة يُلغي القضية من أصلها، وغير ذلك من الأمور غير الخافية، وكل ذلك يجرّئ العسكريين المخالفين للاستمرار في غيهم، فمن أمن العقوبة أساء الأدب.

• الصورة الحقيقية للشرطة:

إنّ دور العسكريين في المجتمعات التي تحفظ حقوق الإنسان وتراعيها هو دور المحافظ على الأمن، الساهر على خدمة الشعب، لا صورة العسكري الذي تدفعه البدلة والسيارة العسكرية والسلاح الذي يحمله نحو الاستكبار على المواطنين والوافدين، أو تزرع في نفسه حالة من الشعور بالفوقية ليزرع الرعب في قلوب الناس دون أن يكونوا قد ارتكبوا مخالفةً ما، أو أن يوظفها لإهانة الناس وتفريغ عقده الشخصية.

إنّ الصورة المطلوب تحقيقها هي صورة العسكري الذي إذا رآه المواطن أو الوافد شعر تلقائياً بالراحة والطمأنينة والأمن. ولذا قال أمير المؤمنين علي «عليه السلام» في كتابه لمالك الأشر لما ولاه مصر: (فَوَلِّ مَنْ جُنُودَكَ أَنْصَحَهُمْ فِي نَفْسِكَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلَا مَامَكَ، وَأَنْقَاهُمْ جَبِيًّا، وَأَفْضَلَهُمْ حِلْمًا مِمَّنْ يُبْطِئُ عَنِ الْغَضَبِ، وَيَسْتَرِيحُ إِلَى الْعُذْرِ، وَيَرَأْفُ بِالضَّعْفَاءِ، وَيَنْبُو عَلَى الْأَقْوِيَاءِ، وَمِمَّنْ لَا يُثِيرُهُ الْعُنفُ، وَلَا يَقْعُدُ بِهِ الضَّعْفُ).

(٨)

علي عليه السلام والحق

يمثل الحقُّ بالنسبة إلى الإمام عليٍّ «عليه السلام» هدفاً من أسمى الأهداف التي تسعى لتحقيقها ما أمكنه ذلك، فكان شديداً في ذلك، لا يداهن، ولا يتنازل، لأن مسألة الحق عنده هي مسألة الحياة، فإذا سلبت الحق من أحد فكأنما حياته تسلب.

وهذا ما ترعرع عليه الإمام علي «عليه السلام» في أوج صراع الحق مع الباطل وقهر المستكبرين للمستضعفين في مكة المكرمة، فكانت أمنية المشركين أن يتنازل النبي «صلى الله عليه وآله» ولو عن شئ بسيط مما كان يدعو إليه، كما قال «تعالى»: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ «القلم: ٩»، إلا أن رسول الله صمد، ولم يتنازل، وقاوم ولم يمالئهم حتى دخل الناس في دين الله أفواجا.. وهكذا عرف علي «عليه السلام» موقع الحق في الحياة وقد قال الله «تعالى»: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ «الحجر: ٥٨».. وهذا ما شخصه النبي الأكرم في ربيبه علي فقال فيه: (علي مع الحق والحق مع علي، يدور معه حيثما دار).

• الهداية للحق:

وقد تحدث أمير المؤمنين علي «عليه السلام» في بيان هذه العلاقة اللصيقة بينه وبين الحق، فقال: (بنا^(١) اهتديتم في الظلماء، وتسئمتم العلياء، وبنا انفجرتم عن السرار^(٢)).. أقمت لكم على سنن الحق في جواد المضلة^(٣) حيث تلتقون ولا دليل، وتحترفون ولا تميهون^(٤).. غرب^(٥) رأي امرئ تخلف عني، ما شككت في الحق منذ أريته.. اليوم توافقنا على سبيل الحق والباطل). وهكذا كان علي «عليه السلام» دائماً على مفرق الطريق بين الحق والباطل لينقذ من أراد النجاة، وليعيد أيضاً الحق إلى صاحبه متى ما أخذ منه بالقوة والاستكبار وهو القائل: (الدليل عندي عزيز حتى أخذ الحق له، والقوي عندي ضعيف حتى أخذ الحق منه). وقال «عليه السلام»: (فلأنقبن الباطل حتى يخرج الحق من جنبه).

• طلب الحق فأخطأه:

وقال «عليه السلام»: (لا تقاتلوا الخوارج بعدي، فليس من

١. أي بمحمد وآله.

٢. كنتم في الظلمات فصرتم إلى ضياء ساطع.

٣. فالحياة كالأرض المليئة بطرق الضلال، وللحق من بينها طريق واحد، وقف عليه علي «عليه السلام».

٤. أي لا تجدون ماءً.

٥. أي غاب.

طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأصابه) ، فهو يطالب بالتبصّر في المواقف وردود الأفعال عند الاختلاف، فليس الموقف واحداً مع كل أحد، بل الدوافع تمثل إحدى المقومات التي تحدد طبيعة الموقف ورد الفعل.

ولكن المشكلة أحياناً كثيرة هي أننا نشخصن خلافاتنا العامة ذات البعد الديني أو المذهبي أو السياسي وأمثالها.

وشخصنة هذه الخلافات ستجرّنا إلى اتخاذ المواقف الخاطئة وردات الفعل العنيفة، لأن الإنسان بطبعه يحب ذاته أكثر مما يحب أي شئ آخر، وقد قال الله «تعالى»: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ، يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ، وَأُمُّهُ وَأَبِيهِ، وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ، لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ «عبس: ٣٢-٣٧».

هذه هي الصورة الحقيقية لمشاعر الإنسان.. فتفهمه تأتي في المرتبة الأولى، وبالتالي إذا شخصن الإنسان خلافاته في القضايا العامة فإنه سيتطرف في مواقفه، ويحيد عن الحق، لأنه يريد أن ينتقم لنفسه وكبريائه، أو يريد أن يثبت أنه الأقوى أو الأفضل.

• صور متعددة:

وهذا الأمر نلاحظه في العلاقات الاجتماعية، ففي الأسرة قد يكون اختلاف الأطباع من عوامل الخلاف بين الزوجين،

أو قد يكون ذلك للطريقة الخاطئة في إدارة الأسرة، وعلى كل حال فالمسألة ليست موجهة للطرف الآخر بشخصه، ولكنه متى ما اعتبرها موجهة إليه بشخصه، وأنها مسألة كرامة مجروحة وعزة مفقودة فإنها ستتحوّل إلى ساحة نزاع عنيف قد يدمر هذه الأسرة.

• في الخلافات السياسية:

وهكذا هو الحال في الخلافات السياسية في دائرة التكتل السياسي الواحد حين تبرز الانشقاقات، فيشكل كل طرف تكتلاً صغيراً بمفرده تحت شعار العودة إلى المبادئ وما إلى ذلك، بينما قد يكون الدافع في حقيقته هو الذات. وكذلك هو الحال في الحراك السياسي حين يتخذ هذا الطرف موقفاً قد يكون خاطئاً، ولكنه اتخذه عن حسن نية وهو يطلب الحق فأخطأه، ولكننا نتعامل معه كما نتعامل مع من يطلب الباطل ويريد الباطل ويعمل للباطل.. لأنني أعتبر نفسي مع الحق، فكيف له أن يأخذ موقفاً مغايراً لما اخترته أنا.. وليست المسألة في حقيقتها: لم يأخذ موقفاً مغايراً للحق!

وعلى ذلك فقس الخلافات الدينية والمذهبية والفقهية التي قد يتعصب لها الإنسان ويعادي من خلالها الآخرين حتى أولئك الذين طلبوا الحق فأخطؤوه، حيث تكون نواياهم

سليمة، ولكن مشكلتهم أنهم لم يهتدوا إلى الحق.. إلا أن
المسألة تبقى غالباً: كيف لهم أن يختاروا غير ما اخترت أنا!!
كيف لهم أن يخالفونني أنا!!

• مراجعة النفس:

ولكل واحد منا أن يراجع نفسه في منطلقات مواقفه وردود
أفعاله تجاه الآخر الذي يختلف معه.. إنها ليست دعوة إلى
التساهل في أمر التمسك بالحق، ولكنها دعوة لتجريد المواقف
عن الذاتية، لأن شخصية مسألة الحق والباطل يحيد بها
عن الحق.

(٩)

فزتُ وربَّ الكعبة

عندما هوى سيف الغدر على رأس أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» في التاسع عشر من شهر رمضان من العام ٤٠ للهجرة، نادى في محرابه حيث أصيب: فزتُ وربَّ الكعبة... هذا النداء مثل خلاصة حياة علي وعنوانها الأبرز... الفوز. وعندما تحدث القرآن الكريم عن الفوز الحقيقي عبّر عنه بـ «الفوز العظيم - المبين - الكبير» وربط ذلك بعدة عناوين:

١. الصدق في الإيمان والموقف والكلمة: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ «المائدة: ١١٩».

٢. الجهاد في سبيل الله بالنفس والمال: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ «التوبة: ١١١».

٣. طاعة الله ورسوله: ﴿تَلِكْ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ «النساء: ١٣».

٤. التقوى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ، لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ «يونس: ٦٣-٦٤».

وإذا تمثلنا سيرة أمير المؤمنين علي «عليه السلام»، وجدناه المصداق الأكبر والنموذج الأمثل لكل العناوين السابقة، فهو الذي لم يعبد في حياته كلها إلا الله ولم يسجد لصنم قط، وأعلن تصديقه بنبوة محمد «صلى الله عليه وآله» قبل كل الناس، وسجل ذلك بقوله: (قد علمتم أني أولكم أيماناً بالله ورسوله).

وهو المجاهد في سبيل الله بنفسه حتى شهدت له ساحات الوغى بما لم تشهد لأحد من قبل ومن بعد، وصار مضرب المثل في البطولة والشجاعة، وقال في شأنه رسول الله «صلى الله عليه وآله»: (... فعلي أشجع الناس قلباً)، وقال: (علي أشجع العرب).

وهو المجاهد في سبيل الله بماله حتى آثر الكل على نفسه، ونزلت آيات من سورة الإنسان تمدح تلك الحقيقة فيه، قال

«تعالى»: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا، إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ «الإنسان: ٨-٩». وقال الإمام علي تعبيراً عن ذلك: (ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دُنياه بطُمريه^(١))، ومن طُعمه (بقرصيه).

وهو الذي لم يسجل التاريخ له موقف معارضة أو احتجاج أو تقدّم على قول النبي وإرادته، فكان يرى نفسه بين يدي حبيبه النبي في مقام الابن مع أبيه والتلميذ مع أستاذه، وهو القائل: (وقد علمتم موضعي من رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالقربة القريبة والمنزلة الخصيصة، ووضعتني في حجره وأنا ولد يضمنني إلى صدره ويكنفي في فراشه ويمسني جسده ويشمّني عُرْفه، وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه، وما وجد لي كذبة في قول ولا خطلّة في فعل. ولقد قرن الله به «صلى الله عليه وآله» من لدن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره، ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل^(٢) أثر أمّه، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً ويأمرني بالاقتداء به).

وأما التقوى فهو إمام المتقين، وقد شهد له النبي «صلى الله

١. الطمر: الثوب البالي.

٢. الفصيل: ابن الناقة.

عليه وآله» بذلك إذ قال: (يا علي، إنك سيد المسلمين وإمام
المتقين وقائد الغر المحجلين)^(٢).

ومما سبق وغيره كثير، تتجلى الصورة ذات الحقيقة التي
لا تقبل التشكيك، أن استشهاد علي عليه السلام كان الخسارة
العظمى للمسلمين بعد رحيل رسول الله، والفوز العظيم له،
خاتمةً لمسيرة حياته الحافلة بالعطاء الخالص والتضحيات
الكبيرة، حياة لم يذق فيها حلاوة إلا حلاوة القرب من الله
«عز وجل» وطاعة الحبيب محمد «صلى الله عليه وآله».

٣. قائد الغر المحجلين: الغر من البياض في جبين الحصان: والخيول
المحجل هو من كان البياض في آخر يديه ورجليه، وهو إشارة لمواضع
النور في المؤمنين وهي أماكن الوضوء.